النظام العلمي في القرآن ودوره في تطوير المجتمع

أ.د.مهند محمد صالح عطيه
أ.م.د.علي جمال علي
د. شهد حسين علي

المقدمة

الحمد لله الذي حصن بالعلم الأفكار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آلة وصحابته الأبرار.

أما بعد: تعد التطورات العلمية اليوم مقياس تقدم الأمم أو تأخرها ، والقرآن جاء بنظام علمي يقود إلى التطور والتقدم ويفتح آفاق المستقبل رحبة لما يتضمنه من دعوة للتعلم وإظهار القيمة الكبيرة للعلم والعقل وما وضعه من منهج علمي سليم للوصول إلى المعرفة ، كل ذلك مؤيدات أن القرآن بنظامه العلمي يثبت بيقين لا يقبل الشك أن العلم والدين جناحا طائر لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر ، ولأجل ذلك وقع اختياري على موضوع ((النظام العلمي في القرآن ودوره في تطوير المجتمع)) لما تضمنه من توجيهات ربانية ومادة علمية فوددت الوقوف عنده متأملا ولعضاته دارسا لعلي اسهم في عرض المفاهيم القرآنية امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية)[1]، هذا المنهج أملى عليَّ أن تكون دراستي مقسمة على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة تضمن:

المبحث الأول: فضل العلم والعلماء والتَّعلم.

وأما المبحث الثاني: فبينت فيه العلم الذي دعا إليه القرآن وحدده.

وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن خطوات التفكير العلمي.

وأما المبحث الرابع: وضحت فيه العلم والدين وفرية التعارض بينهما.

وأما الخاتمة فعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه.

وأما المصادر التي استعنت بها للوصول الى معين تمثلت بكتب التفسير والحديث والفكر الإسلامي والتي سأعرضها بأوصافها الكاملة في فهرست المصادر.

وأخيرا أسأله سبحانه وتعالى أن لا يجعل للهوى على عقلي سبيلا ولا للرياء على عملي دليلا.

الباحث

[1] (صحيح البخاري (باب ما جاء في الحديث عن بني اسرائيل): ١٢٧٥/٣ (برقم).(3274:

المبحث الاول

فضل العلم والعلماء والتعلم

إنَّ للعلم فضلاً كبيراً ومنزلة رفيعة تظهر من خلال دعوة القرآن اليه والاشادة بفضله، حيث لم يسبقه كتاب بموقفه هذا من العلم وحب المعرفة وتقدير العقل حيث السبيل للتطور والتقدم، وهذا ما تؤيده النصوص الكثيرة ، فمن اوائل ما نزل من القرآن دعوته للقراءة وهي النافذة التي يطل منها الانسان على العالم قال سبحانه:[2] هذا وان قسم الله بأدوات العلم يدل دلالة واضحة على علو شأنها وعظيم منزلتها وتنويهاً لنا بفضلها قال سبحانه :[3] وقال:[4] وما الميزة التي انفرد بها الانسان واستحق سجود الملائكة والخلافة في الارض الا لامتلاكه العلم واستعداده للتعلم [5]، زيادة على هذا فان القرآن بين اقتدار وقوة اصحاب العلم على غيرهم[6] ، كما ميز اهل العلم بفضل ما يحملونه منه فقال سبحانه:[7] كما ميزهم الله بصفة الخشية التي لم يتصف بها سواهم لمعرفتهم بالخالق العظيم [8]، قال جل وعلا:[9] والى جانب هذا فان القرآن الكريم صرح بان الجهل واتباع الهوى يدفع الكثيرين إلى تلبيس الحقائق حسب هواهم وقد وصفهم بانهم معتدون يجب ان نبعدهم عن الساحة العلمية ونكشف امرهم لانهم يضللون ويضلون قال تعالى:[10] وقال:[11] ومن هنا يتبين لنا سوء المصير لمن يقلدهم أو يسير وفق اهوائهم، وهؤلاء جميعاً لا ينفعهم تسويغ ولا يشفع لهم تقليد بل هي اعمالهم ترد اليهم حيث لا عودة لتصحيح اعتقاد قال : [12] ، هذه ايماءة في فضل العلم ومقامه والحث عليه في القرآن يثير النفس ويحملها على تعلمه ويفوق بتوجيهه وصدقه كل تقول:[13]، اما فضل العلماء فيظهره قوله سبحانه :[14] ان جلالة قدرهم وعلو منزلتهم وفضلهم على غيرهم يتضح من ان الله جل وعلا قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة كما وصفهم بانهم اولو العلم وهذه شهادة بأنهم اصحابه حقيقة لا استعارة، وانه سبحانه يستشهد بعدول خلقه لكونهم يحملون العلم ويحفظونه زيادة على انه استشهد بهم على اعظم مشهود هو لا اله الا الله، كما جعل هذه الشهادة حجة على المنكرين[15]. كما ان القرآن اشاد بفضلهم وعلو مكانتهم من انه حصر التدبر والعقلانية في سنن الله الكونية واخذ العبرة منها بهم دون سواهم فقال سبحانه:[16]،

---

[2] العلق – الآية : ١.
[3] القلم – الآية : ١.
[4] الطور – الآيات : ١-٣.
[5] انظر اشتراكية الإسلام ، للدكتور مصطفى السباعي: ٦٠.
[6] النمل – من الآية : ٤٠.
[7] الزمر – من الآية : ٩.
[8] انظر: إحياء علوم الدين ، للغزالي :١٤/١ والاسلام دين الهداية والاصلاح ، لمحمد فريد وجدي: ٣١ والعلم في الإسلام ، للدكتور شوكت علينان : ٢٥-٢٦.
[9] فاطر – من الآية : ٢٨.
[10] الانعام – من الآية : ١١٩.
[11] الحج – الآية: ٨.
[12] البقرة – الآيتان: ١٦٦ و ١٦٧.
[13] النساء – من الآية : ٨٧.
[14] آل عمران – الآية: ١٨.
[15] انظر العلم في الإسلام ، للدكتور شوكت عليان: ٤٧ ، والمسلمون والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل: ٢٨ ، وروح الدين الإسلامي ، لعفيف عبد الفتاح : ٢٦٨ ، وعناصر القوة في الاسلام ، لسيد سابق : ٧٦-٧٧.
[16] العنكبوت – الآية : ٤٣.

وفي الحث على التعلم والتعليم فقد امر الله جل وعلا من لايعلم ان يتوجه بالسؤال إلى العلماء لانه مفتاح العلم والانتفاع قال سبحانه:ﱡ ﱠ نم نى ﱠ[17] ونهى اولوا العلم من ان يكتموه وهذا دافع كبير بإيجاب التعليم والحث على نشر العلم فقال تعالى:ﱡ ﱠ لم لى لي ﱠ[18] وقال :ﱡ ﱠ لخ لح لج ﱠ[19]، ومما تقدم فان هذا الفضل للعلم والعلماء والحث على التعلم والتعليم دفع الرعيل الأول بعزم لا يلين وهمة لا تفتر للتزود بالعلم فوصلوا إلى ما وصلوا اليه بتلك الروح حيث كان يقول قائلهم (العلم لا يضبط باللجام، ولا يصاد بالسهام، ولا يورث عن الاباء والاعمام وانما هو اقتحام المخاطر، واحتضان الدفاتر، واصطحاب المحابر)[20] وبهذه التضحية والسعي المتواصل انساحوا ينشرون العلم في وقت كان العالم يلفه ظلام الجهل فكانوا الانوار التي ازاحت عن أوربا ظلمتها يقول سيديو احد وزراء فرنسا السابقين : (لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطئت اقدامهم، وكانوا هم السبب في خروج أوربا من الظلمات إلى النور) [21] وهذه شهادة منصف بفضل المسلمين لنشر العلم في العالم مسترشدين بدعوة دينهم فلم يحتكروه لأنفسهم بل اناروا به المعمورة فكان لهم الفضل وسجل لهم التاريخ الريادة فقصدهم القاصي والداني.

المبحث الثاني

العلم الذي دعا اليه القرآن وحدوده

يظن البعض ان العلم الذي دعا اليه القرآن هو العلم الديني فقط، وهذا الظن ليس له نصيب من الصحة، بل ينبغي الاعتقاد ان العلم الذي دعا اليه القرآن هو مطلق العلم بأوسع معانيه إلى جانب العلم الديني لكون القرآن كتاب رسالة ولا يخرج من دائرة العلم الا العلم الذي يلحق ضرراً بالمجتمع. والقرآن يعد العلم وسيلة لارساء قواعد الايمان ويظهر ذلك من الآيات التي شغلت مساحة واسعة منه وهي تشيد بالعلم وتوجه إلى التفكير والتأمل والاستنباط [22]. وهذا ما جعل العلم لا يقف عند حد معين فليس للحقائق الكونية مدى فما على العلماء الا ان يشمروا ساعد الجد فيبحثوا بكل تأمل واندفاع ولاسيما انهم على علم ان نتائج العلوم احتمالية قابلة للتغير وهذا ما اثبتته مناهج البحث العلمي والذي يفسر التقدم العلمي المستمر الذي تضمنته دعوة القرآن من طلب الزيادة العلمية:ﱡ ﱠ[23] ومعنى ذلك ان العلم باطراد مستمر لا يتوقف ابدا ولا يمكن للعلماء أن يحيطوا بكل شيء علما بل ان هذه الصفة تفرد بها الخالق العظيم[24]ﱡ ﱠ[25] والقرآن إلى جانب حثه على العلم وبيان فضل العلماء فانه عمل على تنمية الدوافع الذاتية وايصالها إلى درجة الشغف بالعلم والشوق المستمر للمعرفة في كل ميادين الحياة وقوانينها وهذا الشغف والمتابعة هما طريقا المجد والتربع على قمم التقدم والتطور العلمي وبناء الحضارة الشامخة [26]، اضف إلى كل هذا ان القرآن لم يقم حاجزاً بينه وبين العلم ولا يحجر على العقل ولذلك يرفض الاعتقاد الأعمى بل (ان الإسلام يقيم عقيدته حتى في الأمور المجردة البحتة والمتعلقة بالغيبيات على أساس من العقل وكذا الذهن حتى يصبح المعتقد الديني في الإسلام مجالا للانطلاق الفكري)[27] وهذا ما تؤكده الآيات الكثيرة منها:ﱡ ﱠ[28] والتقدم العلمي اثبت بيقين ان القرآن دعا المسلمين إلى العلم مثلما دعاهم إلى الدين، وانه لم يترك فرعا من الفروع العلمية الا وذكره أو نبه اليه وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد ما يأتي:

---

[17] النحل – الآية : ٤٣.
[18] آل عمران – من الآية : ١٨٧.
[19] التوبة – من الآية :١٢٢.
[20] الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية ، للدكتور محمد غلاب: ٤١.
[21] الإسلام دين الهداية والاصلاح ، لمحمد فريد وجدي: ٣٢.
[22] انظر دراسات مقارنة في التربية الإسلامية ، لعلي الجمبلاطي: ٩-١٠ ، والانسان والكون في الإسلام ، للدكتور ابو الوفا الغنيمي: ٢٢.
[23] طه – من الآية: ١١٤.
[24] انظر الانسان والكون في الاسلام ، للدكتور ابو الوفا الغنيمي: ٢١ واشتراكية الإسلام ، لمصطفى السباعي: ٦٤-٦٥.
[25] المجادلة – من الآية : ٧.
[26] انظر اسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، لعبد الرحمن حبنكه الميداني: ٢٨١.
[27] ارادة التغيير في الإسلام ، لصابر عبد الرحمن طعيمه: ٢٢٣.
[28] سبأ – من الآية: ٤٦.

١- علم الفضاء لقد سبق القرآن العلم بالتنويه إلى غزو الفضاء عندما تتوفر اسبابه وفي مقدمتها العلم:ﭐﱡ ﲓ □ □ ﲖ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﱠ. (29)

٢- علم الفلك:ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ. (30)

٣- وفي الطب الوقائي:ﱡ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ □ □ ﱠ(31) وما حرمت إلا لأنها تصيب الإنسان بإصابات قاتلة .(32)

٤- علم الجغرافيا:ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ.(33)

٥- علم التاريخ الطبيعي:ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲕ □ □ ﲘ ﲙ ﱠ(34) وهذه الآية تقرر ان الطيور والحيوانات تعيش معيشة تعاونية منظمة قبل ان يصل العلم إلى ذلك بمئات السنين.

٦- علم الحيوان:ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ. (35)

٧- علم الكيمياء:ﱡ □ □ □ □ □ □ ﳊ ﳋ □ □ □ □ ﱠ.(36)

٨- علم الأجنة:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﳊ ﳋ □ □ ﱠ(37) والآية تقرر ان الجنين محاط بثلاثة اغشية لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة وهذا ما اكتشفه العلم بعد اربعة عشر قرناً .(38)

٩- علم خلق الانسان:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ * □ ﱱ ﱲ □ ﱴ □ *ﱶ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ □ ﲕ ﱠ(39). وهذا ما قررته احدث النظريات العلمية في تطور خلق الانسان.

١٠- علم الطب النفسي:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱱ ﱲ ﱠ. (40)

١١- علم تصنيف الكائنات:ﭐﱡ □ ﳅ ﳆ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﳊ ﳋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲕ □ □ ﲘ ﲙ ﱠ. (41)

١٢- ومن علم ما وراء الطبيعة:ﭐﱡ □ ﳊ ﳋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲕ □ □ ﱠ.(42)

١٣- علم الاشعاع الذري:ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □* □ □ □ □ ﱱ ﱲ ﱠ.(43)

١٤- الانفجار الذري:ﭐﱡ □ ﱠ(44) أي: تكون البحار نارا وذلك لانطلاق ذرة الهيدروجين المتحدة مع الاوكسجين.(45)

ومما تقدم يتضح ان دعوة القرآن للعلم شاملة وان الاستجابة لها تتطلب تخصصا لان دراسة الفلك وما وراء الطبيعة والانفجار الذري وعلم الوراثة والطب النفسي وغيرها من العلوم لا يمكن استيعابها الا بالدراسة الدقيقة المتخصصة التي تجعله متمكنا ان يشق طريقه العلمي فيها والى جانب هذا تحتاج مثل هذه الدراسات إلى الاجهزة كالمراصد والمجاهر واجهزة التحليل والتسجيل للحرارة والرياح والرطوبة وكل هذا لا يستطيع الانسان القيام به لوحده بل لابد للدولة ان تتحمل اعباءه وذلك (بتوفير

---

(29) الرحمن – الآية : ٣٣.
(30) يس – الآية : ٣٨.
(31) المائدة – من الآية : ٣.
(32) انظر التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: ٢٩٣-٢٩٤ و ٣٦٥.
(33) الحجر – الآية : ٢٢.
(34) الانعام – من الآية : ٣٨.
(35) الغاشية – الآية: ١٧.
(36) النحل – الآية : ٦٦.
(37) الزمر – من الآية: ٦.
(38) انظر: المسلمون والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل: ٢٢-٢٤ ، والقرآن والعلم ، لمحمد جمال الفندي: ٣٠٠ و٣١١.
(39) المؤمنون – الآيات: ١٢-١٤.
(40) النساء – الآية : ١١٠.
(41) النور – الآية : ٤٥ .
(42) الزمر – من الآية : ٤٢.
(43) الدخان – الآيتان : ١٠ و١١.
(44) التكوير – الآية : ٦.
(45) انظر: المسلمون والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل: ٢٣-٢٥.

وسائل العلم وكل ما يلزم لمسايرة التطورات العلمية ومواجهة التقدم في التحصيل العلمي في كل قطاعاته)[46] واهتماما بالعمل في جميع مراحله الاولية والتخصصية .[47]
وعليه فان تلبية العرب لدعوة القرآن العلمية منذ فجر الرسالة وصدق عزمهم قد حققوا نتائج علمية هي موضع اعتزاز في تخصصات متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

١- ركبوا متن البحر وخاضوا عبابه بأساطيلهم واستخدموا البوصلة في ملاحتهم.
٢- كانوا أول من استخدم الورق الذي تنتجه مصانعهم المنتشرة في الوقت الذي كانت أوربا تكتب على الرقوق، وهذا دليل على نشاط حركة التدوين.
٣- اخترعوا الجبر وطبقوه في علم الهندسة، كما برعوا في علم الفلك ومراصد دمشق وسمرقند وطليطلة وقرطبة حيث توصلوا إلى نتائج علمية لم تصل اليها أوربا الا بعد الف سنة ومن علماء هذا المجال البتاني والبيروني .[48]
٤- كما عرفوا علم الفيزياء والميكانيك واستغلوا مناجم الكبريت والنحاس وغيرها، واتقنوا فن الدباغة وتسقية الفولاذ، وثبت علميا انهم اخترعوا البارود للمدافع.
٥- ايد العلم الحديث ما توصل اليه ابن سينا في بحوثه العلمية والخاصة بتحولات الكرة الارضية والذي عزاها إلى تطورات بطيئة حدثت بتعاقب العصور.
٦- وفي الطب لازالت المؤلفات العربية تعد مرجعاً لعلماء أوربا، وكانت تدرس في جامعاتها إلى القرون الاخيرة فالرازي وابن سينا وعلي بن العباس وابو قاسم القرطبي كانوا العمدة في هذا المجال، وكانت اسماؤهم تتردد في جامعات الغرب كلها.
٧- كما عرفوا الطب الوقائي فأنشأوا المصحات وبرعوا في فن الصيدلة وتحضير العقاقير.
٨- تميز العرب بفنهم المعماري والذي لازالت شواهده قائمة في قرطبة واشبيلية وغيرها .[49]
وهكذا يبرهن المسلمون انهم لم يكتفوا بالعلم الديني وانما اتقنوا فروع العلم المختلفة كما بينا وهذه شهادة العلامة درابر بشأنهم انهم (شرعوا يطلبون العلم فلم يدعوا فرعا من فروعه الا حذقوه وصاروا ائمته، فلو كان الإسلام يريد بالعلم العلوم الدينية لوقفوا عند حدودها كما فعل المسلمون في العصور المتأخرة) [50] وهكذا يتضح لنا بيقين لا يقبل الشك ان العلم الذي دعا اليه القرآن هو ما يزيح ظلمة الجهل، وينمي القدرة العقلية ويكشف الحقائق الوجودية لكي تتجلى عظمة الخالق العظيم واستخدام الحقائق العلمية في مجالات الحياة بما يطورها والانتفاع مما تدره العلوم من منافع مادية.

المبحث الثالث

خطوات التفكير العلمي

ان القرآن حينما دعا إلى العلم والتعليم بين للسالكين طرقا تنمي افكارهم وتحمي عقولهم من الجمود وتصل بهم قمم العلم والتي تعد عنوان التطور والتقدم وتتمثل تلكم الخطوات بما يأتي:
١- دعا القرآن إلى اعتماد البرهان اليقيني الذي لا يخالطه شك ولذلك لا يقبل شيئا الا وقد اقترن بالحجة القاطعة والدليل الصادق حتى في الاعتقاد بالله جل وعلا فالذين اشركوا بالله سيحاسبون لانهم لم يستندوا إلى برهان ولا دليل ﴿ □ ﴾[51] وعليه فلا يقبل قول ولا عمل ما لم يستند إلى دليل ويسعفه برهان والى جانب هذا فقد

---

[46] القرآن والمجتمع الحديث ، لعبد الرزاق نوفل: ١٧٧.
[47] المصدر نفسه: ١٧٥-١٧٨.
[48] انظر الإسلام انطلاق لا جمود ، للدكتور مصطفى الرافعي: ١٩-٢٠.
[49] انظر الإسلام انطلاق لا جمود ، لمصطفى الرافعي : ١٩-٢٠ ، وحضارة الإسلام واثرها في الترقي العالمي ، لجلال مظهر : ٣٠٦-٣١٣ و٣٥٣ و٣٨٢.
[50] الإسلام دين الهداية والاصلاح ، لمحمد فريد وجدي: ٣١.
[51] المؤمنون – الآية: ١١٧.

اكد القرآن على وجوب التفريق بين ما هو يقيني وما هو ظني حفظا لنا من الانحراف لان الظن يؤدي إلى باطل قال تعالى: [52] اما اليقين فيؤدي إلى الايمان الصحيح لأنه حجة قاطعة .[53]

٢- نهى القرآن عن التقليد الاعمى ودعا إلى الاخذ بالأحسن لان من شأن التقليد عدم استعمال العقل ولذلك شبه المقلدين بالبهائم التي لا تعقل وعليه فان المرء لا يتحقق ايمانه ما لم يؤمن من اقتناع وفكر لا عن تقليد قال سبحانه : [54] والقرآن لم يكتف بالنهي عن تقليد الاباء والكبراء والروحانيين بل دعا إلى الاطلاع وتمحيص الاقوال والمذاهب والآراء ثم اختيار ما هو احسن من حيث موافقته للحقيقة التي يؤيدها دليل قاطع دون ان يكون للتعصب مجال في الاختيار أو بوصف هذا الرأي أو ذاك بانه الافضل وهذا ما دعا اليه القرآن: [55] فالنص وصف اصحاب الاتباع بوصفين هما الهداية والعقل وهما قاعدتا الايمان الراسخ والاتباع لا الابتداع .[56]

٣- ثبات السنن الكونية يؤكد القرآن ان الحقائق الطبيعية الثابتة بالدليل القطعي تبقى كذلك من غير تغيير ولا تحويل قال سبحانه: .[57]

٤- ارشد القرآن إلى منهج علمي رصين للوصول إلى الحقيقة يتمثل بالخطوات الاتية:

أ. اعداد الذهن للتفكير عن طريق الجدال والمناقشة وهذا ما يظهر جليا في تربية القرآن العلمية وذلك عن طريق تهيئة العقول وايصالها للحقيقة بمناقشة العقائد ومنها: [58] فمن هذا الاعتقاد وردت الآيات التي تناقش الناس لتبين خطأهم: [59] ، و [60]، وسؤاله لهم ايهما احق بالاتباع الذي يهدي إلى الحق امن يحتاج لهداية غيره: [61] ومن نتائج هذه المناقشة تحصل بعض المعرفة التي تكون اساسا لمعارف اخرى وقواعد ينطلق منها المتعلمون للإجابات على الأسئلة التي توجه لهم من قبل القرآن، ويعد ذلك الدرس وحصول تلك المعرفة أول خطوة للتفكير العقلي والتدبير في آيات الخلق وسننه الكونية.[62]

ب. وجه القرآن لاستخدام حواسهم للوصول إلى المعرفة وهذا ما يعرف بالملاحظة العلمية، واول تنبيه لأهمية الحواس وبيان اهميتها في التحصيل العلمي قوله: [63] وبعدها وجه الانسان إلى انه سيسأل على كل ما يعتقد نتيجة معرفة حواسه مما لا يستند إلى يقين ويجر إلى باطل فقال تعالى : [64] وان هذا التوجيه المنطقي يتناسب والتفكير البدائي الذي يشد الانسان إلى البيئة وما فيها ليستدل على خالقها كما استدل البدوي ان البعر يدل على البعير، والاثر على المسير، ولكن القرآن لم يكتف بهذه الملاحظة القريبة بل وجه عما هو ابعد مما يحتاج إلى استنباط وتفكير عقلي عن طريق الحواس وصولاً للحقيقة العلمية:

---

(52) يونس – من الآية: ٣٧.
(53) انظر: روح الدين الإسلامي ، لعفيف عبد الفتاح طباره : ٢٦٩-٢٧٠.
(54) البقرة – الآيتان : ١٧٠ و١٧١.
(55) الزمر – الآية : ١٨.
(56) انظر: روح الدين الإسلامي ، لعفيف عبد الفتاح طبارة: ٢٧٢-٢٧٣.
(57) فاطر – من الآية : ٤٣.
(58) يونس – من الآية : ١٨.
(59) يونس – من الآية : ١٨.
(60) يونس – الآيات : ٣١-٣٣.
(61) يونس – الآية : ٣٥.
(62) انظر: نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها ، لأمينة أحمد حسن: ٢٤٩.
(63) النحل – الآية : ٧٨.
(64) الاسراء – الآية : ٣٦.

ومن هذا النص فان دعوة النظر إلى كيفية الخلق والرفع والنصب والسطح لمخلوقاته المذكورة عن طريق الحواس لانها ابواب المعرفة التي يطل منها الانسان على ما حوله، فالملاحظة تجعله يتأمل ومن تأمل فكر ومن فكر استغرق، وعليه فاذا كان التفكير هو هدف العلم فالاستغراق يعد نهاية المعرفة فكما وجه القرآن إلى استخدام البصر وجه إلى استخدام البصيرة فقال جل وعلا: [66] وقوله: [67]. وهكذا تعضد مشاهدة الحواس ادراك العقول فتتحقق المعرفة .[68]

ج. الادراك العقلي وهو احساس فكري له قابلية الكشف عن الحقائق، ويعد مرحلة متقدمة على سابقتيها المشاهدة والاستبطان ويتحقق الادارك بأمرين هما:

١- دلالة الالتزام: وتعني اطراد التلازم بين شيئين بحيث لو شاهدت احدهما تصورت الاخر، كما تدل المآذن في بلد ما على إسلام اهلها، وفي الحقيقة ان الدال في هذه الدلالة لا يكون علة للمدلول فالمآذن ليست علة اسلام اهل البلد وعليه فالترابط الدائم والمستمر بين الدال والمدلول يكون رابطة قوية لا تتخلف، واليقين في دلالة الالتزام يتوقف على وضوحه وعدم حاجته إلى برهان اخر يؤكده وهذه الدلالة تكون على ثلاثة انواع هي:

أ. اللزوم غير البين وهو ما يحتاج لبرهان اخر لكي يجزم على دلالته كالتزام زوايا المثلث لقائمتين.
ب. اللزوم البين بالمعنى الاعم وهو ما يحتاج إلى تصور الشيئين والتأمل فيهما لكي يدرك الترابط بينهما فمثلا لا يفهم ارتباط الممكنات بالحدوث مالم يعرف معنى الامكان.
ج. اللزوم البين بالمعنى الاخص ويعني ان مشاهدة الملزوم يكفي لتصور اللزوم، والجزم به كدلالة سيارة الاسعاف على المريض وهذا اقوى دلالة من غيره .[69]

٢- القياس ونعني به الحاق امر باخر لوجود علة تجمعهما[70]. ويقوم القياس على مبدأين هما:

أ. قانون السببية : ونعني به نشوء المسببات عن اسبابها أي ان لكل اثر مؤثراً ولكل معلول علة، وهذا يعني ان الموجودات حادثة لمحدث لان الشيء لا يوجد نفسه من العدم ويعد هذا معياراً عقلياً لإدراك حقائق الاشياء [71]. ولقد وضحت الآيات هذه الخاصية بجلاء قال سبحانه: [72] وقوله: [73] وقوله: [74] ثم يسأل الله : [75]، وبهذا يضع الله ﷻ الجاحدين امام هذه الاسئلة التي ليس لها الا جواب واحد هو ان الله خالق كل شيء، وما عداه يعد مستحيلاً لكونه لا يتفق والفطرة السليمة حيث لا براهين تدعمها ولا ادلة تسعفها .[76]

ب. قانون تناسق النظام الكوني وهذا يظهر من كمال النظام ودقة التقدير وشدة الاحكام واهتداء كل شيء إلى وجهته وهذا بيان ذلك:

[65] الغاشية – الآيات : ١٧-٢٠.
[66] الذاريات – الآية :٢١.
[67] الحج – الآية : ٤٦.
[68] انظر: روح الدين الإسلامي ، لعفيف عبد الفتاح: ٢٧٤-٢٧٥ ، ومعالم الشريعة الإسلامية للدكتور صبحي الصالح: ١٥٣ ، ونظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها ، لأمينة أحمد حسن: ٢٥٠.
[69] انظر: كبرى اليقينات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ٤٣-٤٦.
[70] انظر: التعريفات ، للجرجاني: ١٠٢ ، وعلم اصول الفقه ، لعبد الوهاب خلاف: ٥٥.
[71] انظر: كبرى اليقينات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ٤٦-٤٧ ، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، للدكتور توفيق يوسف الواعي: ١٦٥.
[72] الواقعة – الآيتان : ٦٣ و ٦٤.
[73] الواقعة – الآيتان : ٦٨ و٦٩.
[74] الواقعة – الآيتان: ٧١ و٧٢.
[75] الطور – الآية: ٣٥.
[76] انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، للدكتور توفيق يوسف الواعي: ١٦٧.

١- كمال النظام وتناسقه وهذا لا يخفى على ذي عينين والآيات في هذا المجال كثيرة ولكننا نجد في قوله تعالى:ﱡ ﱠ [77] نظاما متناسقاً يؤدي دوراً كبيراً في تسيير الحياة وفق تقدير الخالق العظيم وذلك يظهر من خلق السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وجريان السفن ونزول المطر ووجود الحيوانات كل ذلك مهيئ ومسخر وفق نظام دقيق بما يعود على البشرية بالنفع.

٢- اما عن دقة التقدير فقد اثار القرآن انتباهنا إلى هذا الموضوع الذي يعد امراً ضرورياً لاستقامة الحياة واستمرار وجودها واي اختلاف في مقادير التكوين يؤدي إلى الفساد وهذا ما تؤكده الآيات وتركز عليه قال سبحانه:ﱡ ﱠ [78] وتتجلى دقة التقدير في كلمة – موزون – التي توحي بضبط المقادير وفق متطلباتها واستقامة وجودهاﱡ ﱠ [79] وعلى سبيل المثال ان زيادة نسبة الاوكسجين عن ٢١٪ في تكوين الهواء يؤدي إلى اشتعال المواد القابلة للاحتراق، وهكذا أي تغير في مقادير تكوين الاشياء يؤدي إلى فسادها وبالتالي عدم استمرارية الحياة.

٣- ان كل شيء في الكون يسير وفق نظام واهتداء وطاعة كاملة:ﱡ ﱠ [80] هذا وان كل خلية في الجسم تعمل بهداية الله جل وعلا وفي مكانها المخصص:ﱡ ﱠ [81] والنحلة تخرج العسل بإيحاء الله سبحانه وهدايته:ﱡ ﱠ [82].

٤- شدة الاحكام ان الذي ينظر إلى الكون وما فيه من مخلوقات وما تسيره من سنن يتجلى له احكام الصنعة في كل شيء قال سبحانه:ﱡ ﱠ [83]. وهكذا جعل الله جل وعلا الكون كتابا مفتوحا يحمل الانسان للدهشة والفكر العميق ، فهو يرى هذا الاتقان والاحكام والتقدير والاهتداء فيزيده ايماناً وعلما وعملا .[84]

المبحث الرابع

دعوى التعارض بين الدين والعلم

يحاول اعداء القرآن ان يطعنوا المبادئ الإسلامية فيثيرون دعاوى كثيرة منها على سبيل المثال ان القرآن حارب الفكر ووأد حرية الرأي ومنع معتقديه ان يشتغلوا بالعلم الدنيوية، وان دوره انتهى وجاء دور العلم وكل هذه الاباطيل مفادها ان الدين يعارض العلم وهذا ادعاء مزيف لا تسنده حقيقة ولا يقره واقع وينطلق اما من جهل بالمبادئ الإسلامية، واما انه صادر من حقد وضغينة للدين، واذا ما عرفنا ان مثيري هذه الاتهامات امثال ارنست رينان وفولتير وديدرو وروسو [85] يتضح لنا ان غرضهم اطفاء نور الإسلام:ﱡ ﱠ [86] ولذلك يحاولون بكل مكر ان يجنوا على الإسلام ويصفوه بانه عقبة كؤود في سبيل التقدم والتطور:ﱡ ﱠ [87] فالحقائق الاتية كفيلة ان تدحض هذا الادعاء وترد هذا الكيد إلى نحور مدعيه وهي:

---

(77) البقرة – الآية : ١٦٤.
(78) الحجر – الآية : ١٩.
(79) الرعد – من الآية : ٨.
(80) فصلت – الآية : ١١.
(81) طه – الآية: ٥٠.
(82) النحل – الآيتان : ٦٨ و٦٩.
(83) الملك – الآيتان : ٣ و٤.
(84) انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، للدكتور توفيق يوسف الواعي : ١٦٩-١٧٤ ، وروح الدين الإسلامي ، لعفيف عبد الفتاح طباره : ٥٧-٥٨.
(85) انظر: الاعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، لمحمد عمارة: ٢٠٧-٢٠٨ ، والاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، لمحمد عبده : ٩.
(86) الصف – الآية: ٨.
(87) الكهف – من الآية : ٥.

١- ان الإسلام جعل العلم فريضة على كل مسلم.
٢- دعا إلى دراسة كل العلوم وقد تحدثنا بما فيه الكفاية فلا يحسن التكرار.
٣- ان الله منَّ على الانسان بوسائل التعلم ووجهه إلى السبل الكفيلة بارتقائه وتقدمه:ٱ □ بن * بي ترً[88]ٱ □ □ □ □ بجً. [89]
٤- ارسل الله الانبياء هداة للبشر يعلمونهم ويقودونهم إلى سبل السلام حيث الحياة المستقرة السعيدة والاخرة المطمئنة:أُتهِ ثمِ □ جمِ □ حمِ □ خمِ □ □ □ سمِ □ □ □ □ □ □ً. [90]
٥- ان الله كرم العلم فنسبه إلى نفسه وهل هناك تكريم اعظم ومنزلة اسمى من هذا:ُبى بي تر □ □ً[91] وقوله:ُ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ً. [92]
٦- دعا الإسلام إلى الطموح في العلم ولا يرى ان للعلم حدوداً ينتهي عندها ولذلك نبه جل وعلا ان ما عندنا من علم هو قليل:ُ□ □ □ □ □ □ جً[93] لكي نندفع لطلب الزيادة:ُ□ □ □ □ □ً[94] كما فتح باب التنافس الشريف وبين ان اصحاب العلم درجات فلا يغتر احد بعلمه وهذا دفع لأصحاب العقول لاستمرار طلبه فقال:ُتهِ ثمِ □ جمِ □ً.[95]
٧- ان القسم بأدوات العلم خير دليل على مكانته فالله لا يقسم الا بما كانت له مكانة عظيمة قال سبحانه:ُٱ□□ □ □ □ □ً.[96]
٨- ان التاريخ الإسلامي الحافل بالأحداث الجسام لم يحدثنا مرة واحدة من ان الإسلام حاول ان يحطم حضارة امة فتح بلادها، وانما كان يطبع تلك الحضارة بطابعه ويحولها إلى فعل مقتدر وغذاء نافع بما يحقق الفوز بالدنيا والنجاة في الاخرة، أي انه يبعد عنها ما يتعارض والفطرة السليمة ويتفق مع المنطلقات والمصالح التي يريد القرآن تحقيقها لصالح الانسانية، فهل يستطيع المدعون ان يقدموا شيئاً يناقض هذا.[97]

ومن هنا نستطيع ان نبرز دور الدين ودور العلم عندها يتحقق جليا ان ليس هناك تعارض بين الدين والعلم ويظهر هذا من خلال دوريهما في الحياة:
١- اذا كان دور العلم هو تصنيع الاله والتي قد تكون اداة اعمار وبناء، وقد تكون اداة خراب وفناء، فالذرة يمكن ان تخدم البشرية فيما اذا استخدمت في الاغراض السلمية، ويمكن ان تدمر البشرية اذا استخدمت للأغراض العدوانية، وهذا الامر يقرر ان العلم سلاح ذو حدين قد يعمر وقد يدمر، والى جانب هذا فان العلم يدرس الكون والظواهر سعيا منه لكشف اسرارها المادية فيفسر كيف تحدث ظواهر الليل والنهار وفصول السنة وقوس قزح والكسوف والخسوف ولكنه لا يستطيع ان يقدم تفسيراً لماذا تحدث وما هو مصدرها يقول بول رانس ابرسولد : (وقد ادرك رجال العلوم ان وسائلهم وان كانت تستطيع ان تبين لنا بشيء من الدقة والتفصيل كيف تحدث الاشياء فإنها لاتزال عاجزة كل العجز عن ان تبين لنا لماذا تحدث الاشياء).[98]
٢- لا يخفى ان الدين الإسلامي بأحكامه وتعاليمه يسعى للمحافظة على توازن الانسان وتربية ضميره لخدمة الانسانية وهذا الاعداد يجعل ضميره رقيبا يؤنبه فيما اذا انحرف أو حاول ذلك بما يثير في نفسه من احاسيس صادقة وواعية تجاه الانسانية، والى جانب هذا فان للدين نظرته الخاصة في الحياة وما وراء الطبيعة يستند نظامه اليها ومهمة الدين تفسير لماذا تحدث الاشياء والظواهر وبيان سبب ذلك، وعليه فان العلم لا يستغني عن الدين ابدا والا انحرف عن طريق خدمة الانسانية إلى دمارها، فاذا كان العلم كما اسلفنا يصنع الاله، فان دور الدين يبين كيفية استخدامها بما يحقق الخير، وهذا يعني ان الدين يحمي العلم ويحفظه من الانحراف وعليه فلا تعارض بين العلم والدين لاختلاف موضوعيهما لان اساس حصول التعارض وجوب وجود وحدة

---

88) الرحمن – الآيتان : ٣ و ٤.
89) العلق – الآية: ٥.
90) البقرة – الآية : ١٥١.
91) المجادلة – من الآية : ٧.
92) الحجرات – من الآية: ١٦.
93) الاسراء – من الآية : ٨٥.
94) طه – من الآية : ١١٤.
95) يوسف – من الآية: ٧٦.
96) القلم – الآية : ١.
97) انظر: مكانة العلم والعلماء في الإسلام ، لعلي أحمد الشحات : ٢٥-٢٨ ، والاسلام من خلال مبادئه التأسيسية ، للدكتور محمد غلاب : ٣٦-٣٩.
98) الله يتجلى في عصر العلم : ٣٦-٣٧.

الموضوع [99]، بل ان الدين (هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم، ويسبح به في الارض، ويصعد به إلى اطباق السماء، ليقف على اثر من اثار الله، أو يكشف به سرا من اسراره في خليقته، أو يستنبط حكما من احكام شريعته، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد).[100]

الخاتمة

الحمد لله على توفيقه وإنعامه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد: فمن خلال دراستنا لهذا الموضوع وابحارنا في بحره المتلاطم وغوصنا عبر قاعه خرجنا بهذه النتائج والتي تعد نتاج لتلك الجولة المباركة.

١- قدم النظام العلمي في القرآن منهجاً علمياً سليماً للوصول إلى المعرفة التي لا يساورها شك ولا بداخلها ريب مستخدما جميع الوسائل في ما يريد تثبيته في الطباع البشرية وفق منهجه السامي.

٢- انصف النظام العلمي بنظامه المتكامل للحياة وملاءمته للفطرة الإنسانية وانسجامه السنن الكونية.

٣- اظهرت الدراسة أن النظام العلمي للوجود هذا المجتمع الذي يحمل مواصفات في غاية السمو فلماذا تخلّف المسلمون اليوم عن غيرهم وهم يمتلكون هذا النظم السامية.

٤- اثبتت الدراسة أن سبب انحسار النظام العلمي ليس قصوراً فيه بل كان سبب تقصير المجتمع وابتعادهم عنه مما شتت شملهم ومكن الأعداء منهم.

٥- بينت الدراسة أن التطور بلغ في المجتمع مرحلة متقدمة تمكن الانسان من خلاله ان يستثمر مظاهر الطبيعة لصالحه ولكنا نجد أن البشرية اليوم تمر بأخطر مراحل تاريخها فبدلاً من أن ينقلها التطور إلى حال أسعد فقد حول العلم جهلا والعمل ظلما والاستقرار فوضى والأمن خطرا ، والسبب لا يخفى لذي بصيرة هو انفصال التطور اليوم عن التشريع الإلهي ونظامه المتكامل في جميع مجالات الحياة.

٦- وضحت الدراسة أن جميع النظم التي جاء بها القرآن تحمل في ثناياها منهجا تطويريا يتلاءم وظروف الزمان والمكان وفيه الطواعية للتطبيق ما يجاري الأصول ويستهدف مصلحة البشرية.

---

[99] انظر التطور والدين – أحمد زكي تفاحه : ٦٣-٦٤ . وعقيدتنا – عبد الله نعمة: ٣٩-٤٠.

[100] الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية – محمد عبده : ١٥١.

٧- أكدت الدراسة ان علاج التخلف والجهل يكون بتمكين النظام العلمي الذي جاء به القرآن الكريم من أن يأخذ دوره في الحياة عن طريق مناهجه التي شملت ميادين الحياة كلها ، وبذلك نعيد المجد ونحيي الأمة الإسلامية ، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

قائمة المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم:

١- ٥٨- اشتراكية الإسلام – د. مصطفى حسني السباعي – الدار القومية للطباعة – الثانية – ١٩٦٠م.

٢- احياء علوم الدين – ابو حامد محمد بن محمد الغزالي – مطابع سجل العرب – القاهرة – ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣- الإسلام دين الهداية والاصلاح – محمد فريد وجدي – دار القومية العربية للطباعة – ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٤- العلم في الإسلام – د. شوكت عليان – مطبعة الجامعة – بغداد – الأولى – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥- المسلمون والعلم الحديث – عبد الرزاق نوفل – دار الكتاب العربي – بيروت – الثالثة – ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٦- روح الدين الإسلامي – عفيف عبد الفتاح طباره – دار العلم للملايين – الثانية – عشرة – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٧- عناصر القوة في الإسلام – السيد سابق – دار الكتاب العربي – بيروت– الثانية – ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٨- الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية – د . محمد غلاب – المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية – ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٩- الانسان والكون في الإسلام – د. ابو الوفا الغنيمي التفتازاني – دار الثقافة للطباعة – القاهرة – ١٩٧٥م.

١٠- الحضارة الإسلامية ووسائلها – عبد الرحمن حسن حبنكه – دار العربية للطباعة – مكة المكرمة – الأولى – ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١١- ارادة التغيير في الإسلام – صابر عبد الرحمن طعيمه – مطبعة الاستقلال الكبرى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٦٨م.

١٢- التفسير العلمي للايات الكونية في القرآن – حنفي أحمد – دار المعارف – الثانية – لم يذكر سنة الطبع.

١٣- القرآن والعلم – د. جمال الدين الفندي – دار المعرفة – القاهرة – الأولى – ١٩٦٨م.

١٤- الإسلام انطلاق لا جمود – مصطفى الرافعي – منشروات دار مكتبة الحياة – ١٩٥٩م.

١٥- نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام – د. امينة أحمد حسن – دار المعارف – القاهرة – الأولى – ١٩٨٥م.

١٦- معالم الشريعة الإسلامية – د. صبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – الأولى – ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٧- كبرى اليقينيات الكونية – د. محمد سعيد رمضان البوطي – دار الفكر – الثالثة – ١٣٩٤هـ.

١٨- التعريفات – ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني – مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٩- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – د. توفيق يوسف الواعي – دار الوفاء للطباعة – الأولى – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٠- مكانة العلم والعلماء في الإسلام – علي أحمد الشحات – دار احياء الكتب العربية – ١٩٧٢م.

٢١- ١٠٤- التطور والدين – أحمد زكي تفاحه – دار التعارف للمطبوعات – بيروت – الأولى – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.